

## الزمان والمكان في رواية " رابع المستحيل " للقاص عبد الكريم السبعاعي

د. عبد الخالق محمد العف

كلية الآداب – قسم اللغة العربية – الأدب والنقد

الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين

تاريخ استلام البحث: 2007/10/17م ، تاريخ قبول البحث: 2008/2/25م

**ملخص:** يعد عنصر الزمان، والمكان من أهم تقنيات السرد التي تشكل فضاء الرواية، فعلى نبضات الزمن تسجل الأحداث وقائعها، وفي حيز المكان تتحرك الشخص، وفي إطار اللغة يبعدها: المكاني، والزمني يتألف النص السردي. وقد استنهض (السبعاعي) في رواية "رابع المستحيل" الأمكنة والأزمنة؛ للإدلاء بشهادتها الحية، واستنفر الذاكرة الوطنية الفلسطينية؛ لتكون درع الأمة وملاذها.

### Time and place in Abdel-Kareem Al-Sab'aw's Rabe, Al-Mustabeel

**Abstract:** Time and place are the most important elements of narration that form the essence of the novel. For instance, actions are recorded in time, while characters move in space. Thus, within language and its two elements – time and space – the narrative text is formed. In this context, Al-Sab'awi revealed in this novel Rabe' Al-Mustaheel revealed time and place as symbols and highlighted the Palestinian national memory as the Nation's shield and refuge.

**مهاده نظري:**

بدأ (السبعاعي) \* كتابته ملحمة الروائية التي سماها "ثلاثية أرض كنعان" برواية العنقاء" عام 1989 فرواته "الخل الوفي" عام 1997، ثم رواية "الغول" عام 1999 ثم أضاف السبعاعي "رابع المستحيل" عام 2005م. البطولة في تلك الرواية كما في سائر الثلاثية هي لمدينة (غزة) حيث تمتزج عبقرية المكان بعبق الزمان...، وحيث يتقاسم الناس خبزهم وملحهم...، فرحهم وترحهم...، ويواجهون مجتمعين وفرادى أقدارهم ومصائرهم المحتومة" (1) لقد حرص السبعاعي على تعميق حيوية الفضاء التاريخي وتوظيفه في حماية ذاكرة الزمان والمكان من الضياع والفناء، في إطار رؤية روائية ناضجة جمعت بين الأدبي والتاريخي، فاندمجت العلاقة بين الواقع والخيال، فتداخل السرد الحياتي بالقص الروائي.

## د. عبد الخالق العف

إن حركة السرد في "رابع المستحيل" انتشارية دائرية متداخلة، تتغلب فيها حركة التزامن على حركة التعاقب؛ ولذلك يمكن أن يشير فيها الزمان إلى ازدياد شدة الترسخ في المكان والانشداد إلى هويته الفلسطينية.

وقد استعار (السبعوي) الأشكال التراثية الثلاثة للمستحيل: (الغول والعنقاء والخل الوفي) جاعلاً من إحيائها الرمزية عناوين دالة للولوج إلى تاريخ فلسطين الكنعانية العربية المسلمة.

ونحن نعرف من تراثنا دلالة المستحيلات الثلاث، فما الرابع الذي أضافه السبعوي في مشواره الروائي؟

إنه (النسيان) فكل الأحداث أكدت على الذاكرة الفلسطينية، واستمراريتها حياة في النفوس، إن المستحيل في شكله الرابع هو رضوخ الشعب الفلسطيني للمحتل الصهيوني والاستسلام لإرادته بمحو الوطن من الذاكرة زماناً، ولذلك كان هذا البحث مركزاً على عنصري: الزمان والمكان من تقنيات السرد التي أجادها .

### 1

إن الفصل بين عنصري الزمان والمكان يعد أمراً شكلياً بغرض الدرس المنهجي؛ نظراً لارتباطهما ارتباطاً كلياً في النص الروائي، فالحدث لا بد أن يقع في مكان معين وزمان بعينه، فالزمان والمكان إذن عنصران متلازمان متداخلان.

إن البنية السردية تتحدد بإيقاع الزمن في فضاء المكان كما تتشكل: بلامح أحداثها وطبيعة شخصياتها ومنطق العلاقات والقيم داخلها ونسيج سردها اللغوي، ثم أخيراً بدلالاتها العامة النابعة من: تشابك، وتضافر ووحدة هذه العناصر جميعاً. (2)

وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي سارت عليه الأحداث فإن المكان يظهر على ذلك الخط ويصاحبه ويحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث، وهناك اختلاف بين طريقة إدراك الزمن وطريقة إدراك المكان، حيث إن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي، أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي، ومن هنا ندرك ترابط الزمان والمكان فالمكان ليس حقيقة مجردة وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ، وأسلوب تقديم الأشياء هو الوصف بينما يرتبط الزمن بالأفعال، وأسلوب عرض الأحداث هو السرد. (3)

وقد قدم (السبعوي) في "رابع المستحيل" : تسجيلاً دقيقاً للأحداث بذكاء المؤرخ، ووصفاً بارعاً للمكان بدقة المصور، وسرداً منطقياً للزمان كأروع ما يكون السرد، ودقة متناهية في ذكر تفصيلات الأحداث ووصفاً متكاملًا حيويًا للشخصيات : بلامحها وثقافتها، وخصالها،

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

مستخدماً لغة سردية أدبية تتأرجح بين الفصحى والعامية بطريقة مثيرة جاذبة تعطي للرواية طابعاً متميزاً.

لقد رسم لنا (السبعراوي) ملامح الوطن المتمثلة في عبق (يافا) وبنادق ثوارها الملتزمين ودروب غزة وهمة رجالها المخلصين، رسم: العقال، الكوفية، السروال اليافاوي الأسود، سهيل الحصان، زغاريد الفرحة، صوت الأذان، عناء الأسفار، صرخة المولود، نحيب أم حانية فقدت وليدها، عرس شهيد، ووصية قسام.

### 2

كما برع (السبعراوي) في رسم الجانب الآخر: مهاجرين يهود، وكالة يهودية، استيطان، منظرين، هاغاناه، وعد بلفور، الحركة الصهيونية، حلفاء اليهود، والانتداب.

ورغم هذا الجانب المظلم إلا أن شمس الحرية: ستشع ديجور الاحتلال وسيرحل الغزاة بمختلف أسمائهم وأقنعتهم، وستبقى الأرض الفلسطينية وإنسانها الثائر الحر العظيم، وستثور الأمكنة والأزمنة للإدلاء بشهاداتها الدامغة وستعلو زغرودة فرحة معلنه يوم التحرير.

ويمكن القول: إن "رابع المستحيل" تعد أنموذجاً رائعاً للفترة التي عالجتها على ثنائية محورية أساسية هي الشتات والوطن والتي تفرعت عنها ثنائيات أخرى أبرزها (الأنا والآخر)، كما قامت الرواية على ثنائية الزمن المتمثلة في الحاضر البائس والماضي الحزين في حضور مشهدي روائي يستحق الوقوف عند تفصيلاته ومقاربتها، والتماهي مع دلالاتها والكشف عن جماليات سردها وأبعادها النفسية وسنكتفي بالوقوف على عنصرين مهمين من عناصر تشكيل رواية "رابع المستحيل" ألا وهما: الزمان والمكان.

### أولاً: المكان

يعد المكان من أهم المكونات الأساسية في العمل الروائي حيث يشغل حيزاً كبيراً في بنيته السردية، فيشكل مع باقي الأمكنة فضاء الرواية الشامل.

والمكان هو الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث، والصراع بين الشخصيات في إطار المتن الحكائي المتماusk لا يحدث في الفراغ بل في أزمنة وأمكنة متعددة ومحددة. (4) مهما يكن فإن الرواية لا بد أن ترتبط بالمكان على اختلاف قيمته ودوره في بنية العمل، وسواء أكان المكان في إطار أبعاد مستقيمة أم دائرية فإنه لا بد أن يتسع لحركة الشخصيات ومسيرة الأحداث.

وفي وصف المكان الروائي يبرز ما يسمى ب (الفضاء الروائي) الذي يعني:

### 3

## د. عبد الخالق العف

مجموع الأمكنة التي تظهر في بنية الرواية وتشغل حيزاً جغرافياً تتحرك فيه الشخصيات حقيقة مادية ملموسة، أو رؤية ذهنية خيالية رمزية، وفي كل الحالات يشغل السرد والحكاية بكل أبعادها فضاءً كتابياً أو فراغاً لا يشغله سواد اللغة.

وبالتقاء فضاء النص السردي بفضاء الرموز الطباعية؛ ينشأ فضاء جديد ألا هو الفضاء الموضوعي للرواية بمجملها، ذلك الفضاء الذي يلتقي فيه وعي القاص بوعي القارئ.

إن التلاعب بصورة المكان في الرواية يمكن استغلاله إلى أبعد الحدود، فإسقاط الحالة النفسية أو الفكرية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه؛ جعل للمكان دلالة فاقت دوره المؤلف كديكور أو وسط يوطر الأحداث، إنه تحول في تلك الحالة إلى محاور حقيقي، يقتحم عالم السرد محرراً نفسه من أغلال الوصف وتعدى الأمر ذلك إلى كون المكان بطلاً حقيقياً للرواية.

4

### \* المكان في رواية "رابع المستحيل"

نجح (السباعوي) رغم اتكائه على مرحلة تاريخية من مراحل نضال الشعب الفلسطيني من تقديم الأبعاد النفسية والاجتماعية للبيئة المكانية بعيداً عن أسلوب التاريخ، حيث لا تعنى الرواية بتقديم التاريخ المجرد للقارئ؛ "لأن وثائق التاريخ كقيلة بهذه المهمة، وإنما تكمن قيمتها في براعة الكاتب في استغلال الحدث التاريخي فاعتماده إطاراً ينطلق فيه؛ لمعالجة قضية حية من قضايا مجتمعه الراهن". (5)

تتراوح الأحداث في رواية "رابع المستحيل" بين (غزة ويافا) وغزة لها النصيب المكاني الأكبر في أحداث الرواية فالمكان الرئيس هو (غزة البلد) ثم يمتد ليشمل أماكن متعددة في المدينة ثم يتسع المكان ليشمل (يافا) التي مثلت المركز المكاني الثاني في الرواية "يافا كانت تعج بالحياة، أبواق السيارات، نداءات الباعة، وصهيل الخيول التي تجر العربات الفارحة، يافا هبة البحر، مثلما غزة هبة الصحراء، استقبلت يافا البحر بوجهها ومثل كل الموانئ جرت فيها الحياة هينة لينة، يافا مفتوحة باتساع أحداقها وانبساط ذراعيها، ضمت كل وافد، استقبلت السفن التي أتعبها الطواف، أغوت الربابنة، وراودت البحارة الغرباء...، مسها من العدو الأخرى ما مسها...، أخذت وأعطت كل شيء فيها متاح ومباح... غزة أدارت ظهرها للبحر ووجهها إلى جزيرة العرب، استقبلت القوافل القادمة من أعماق الجزيرة محملة: بالنفائس، التوابل، الحناء، وأخلاق الصحراء كل ما في الصحراء من: شطف، قساوة، منع، وردع" (6)

تأمل ثنائية المكان التي اتسم فيها السرد التقابلي بين مدينتي يافا وغزة، بالشعرية وسعة الدلالة واستخدام الألفاظ الموحية والتعبيرات المجازية التي توهم المتلقي بأن يافا امرأة حسناء مستباحة،

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

وغزة بتول عصبية، إن نبض الحياة سرى في دماء المكان فقد احتضنت الرواية فلسطين بكاملها:  
سماً وأرضاً، براً وبحراً خيمة وقصراً مع رسم التشعبات في تفاصيل جغرافية المكان من يافا

5

الحرية والانفتاح إلى غزة المحافظة على عبق الذاكرة والأصالة والتراث ومع تتابع الأحداث يظهر المكان بنفصيلاته ومظاهره المتفاوتة في الحضور والغياب لتنتقل لنا صورة الواقع عبر زمن الرواية. وقد اعتمد السبعواوي على مرتكزات مكانية رمزية من واقع المأساة الفلسطينية فرسم المخيم والخيمة مأساة السرد ومرتكزه الدلالي، الخيمة صرخة الألم والمعاناة في وجدان كل فلسطين التشرذم والشتات والهجرة، كل خيمة حملت حكاية والمخيم فضاء رمزي لرحلة اللجوء "في الصباح لم تر للمخيم أثراً...، رحل الجميع...، بدت خيمتهم وسط البياب وحيدة تصفق جنباتها الريح...، لا أحد غيرهم ولا سواهم على طول الشاطئ...، أحسست بالرعب...، أشعلت النار تحت الصاج.(7)

ومن الأماكن التي احتلت موقع الصدارة في "رابع المستحيل" المدرسة مركز: العلم والدين والجهاد، الحلم الذي راود (حسين) فأصبح حقيقة، معقل الثوار والعلماء وقاعدة التخطيط للمقاومة.

وصفها السبعواوي أنموذجاً مختلفاً عن الكتابات الملحقة بالمساجد أو الأضرحة في بوايك من الطين والخشب إنها مدرسة حديثة "المبنى المشيد: بالاسمنت المسلح...، الشبابيك الواسعة...، دورات المياه الصحية...، العريضة التي يقضي فيها الطلاب أوقات الفسحة...، الحديقة المحيطة بها، الشيخ في لباسه الذي يشبه لباس وجهاء المدينة، القنباذ والروزة والسساكو النظيف والطربوش المكوي، وخلفه سبورة سوداء كتب عليها بخط جميل (حكمة اليوم) لم يكن التلاميذ يقتعدون الأرض أو الحصر البالية كانوا يجلسون على مقاعد لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها في مدارس الحكومة.(8)

ومن الأماكن التي استغرقت مساحات في الفن الحكائي (المسجد) الذي كان ولا زال شاهداً على الانطلاق ومبشراً بالخلاص، بينه وبين القسام ألفة من نوع خاص فيه الموت ومنه الحياة ومنه الشرارة التي أحرقت موائيق الانتداب وعهود الاحتلال.

وصف المسجد بطهره، والمنبر بشموخه والرفوف الخشبية بكبرياتها والمصاحف بقدسيته، لقد شهد المسجد التحام الموالين والمعارضين في توحيد وطني خلف

6

## د. عبد الخالق العف

دماء الشهداء والقسام الذي وحد فلسطين كلها جمعاء في مسيرة الجهاد، والذي أدرك حقيقة المسجد من حيث كونه رمزاً للعبادة والجهاد وليس زخارف معمارية ولذلك لما طلب منه الحاج (أمين الحسيني) إعمار المسجد قال: "المساجد تستطيع الانتظار أعواماً طويلة، ولكن فلسطين التي يقضون منها كل يوم قضة لا تستطيع الانتظار، لعل (أبا عبد الله الصغير) آخر ملوك الأندلس كان مشغولاً بإعادة إعمار مسجد (قرطبة) الكبير حينما داهمته خيول الفرنجة. (9) أمكنة مشحونة بالدلالات واستدعاء لأحداث تاريخية وشخصيات علما تسهم في خلق حالة من الوعي بمجريات الأحداث في تلك الفترة العصبية التي تعرضت فيها فلسطين للاغتصاب والانتقاص من أطرافها وانتهاك حرمتها وسفك فيها الدماء، وترويع الأمنين فطردهم من ديارهم والعرب بين متآمر ظلوم أو متقاعس نؤوم وسط زحام تلك الأمكنة المقدسة ظهرت غيمة سوداء مستوطنة (نحال عوز) رمزاً لكل المغتصبات أزمة المسألة كلها والهم الجاثم على صدر الوطن والظلم الذي يصادر حق الفلسطيني في : الأرض والحياة والحرية، باتت رمزاً أبدياً ثابتاً للاحتلال وسيافاً مسلطاً على رقاب الشعب، هي المفارقة الجائرة في الاهتمام بحياة فرد حتى لو فني الآلاف، هي الشاهد على القسمة الخاطئة في توزيع الميراث المغتصب، أما محددات تلك المسألة (نحال عوز) فهي أرض تحيط بها أسلاك شائكة تتعدد حولها مواقع الحراسة وتحيط بها الرشاشات من كل ناحية وصوب، كانت (نحال عوز) من أكثر مستوطنات العدو تحصيناً...، فكان اقتحامها بالمتطوعين ضرباً من الجنون". (10)

7

### \* دلالات المكان وإيحاءاته في رابع المستحيل:

من الملاحظ في رواية "رابع المستحيل" أن المكان يتفاوت ضيقاً واتساعاً وقد يخترق الحدود ويجتاز السدود ولذلك: دلالات نفسية عميقة، وإيحاءات شعورية متنوعة. فعندما انعزل (أبو التوفيق) بعد موت زوجه في غرفته، وحين اغتسل في حوض الجماعية، وحين أوى إلى سطح منزله يتأوه ويتلوى من الوجد والشوق وحين دخل القبو ثم أمر الصبي أن يأتي (بالكانون) وحين أمسك بيد عروسه، ليصعد بها إلى عليّة المنزل "أغلق أبو التوفيق باب العلية وراءه ثم أطفأ المصباح...، تمدد إلى جوارها...، كانت في فضلة من ثيابها...، ثم مد أبو التوفيق يده... (11)

وهكذا مضى أبو التوفيق في وصف الدلالات الحسية للأمكنة وإيحاءاتها المثيرة: إنها أماكن ضيقة: محددة ولكنها ملموسة محسوسة لها صفة الخصوصية، والإرشادات، والوجدانية،

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

ولذلك جاءت في معرض الحديث عن أبي التوفيق المغربي (بينت الهدار) بعد موت زوجه وذلك حين رآها على حوض الجماعية.

إذا انتقلنا إلى الأمكنة العامة فإننا سنجدها على قسمين: الأول مثل: اللهو، المجون، العبث، والانكفاء وذلك حينما غرق بعض الشباب في تلك المستنقعات التي هدفت إلى إشغالهم عن معالي الأمور، فلم يفكروا في: أرض تنهب، ومقدسات تنتهك ومؤامرات تحاك ولنا أن نتابع هذه المقطعات من الرواية:

"قطع عليهما الحديث وصول مدحت وهبة وابن عمه ونديمة فايق... كانوا في حالة بينه من السكر بعد جولة لهم في علب الليل بئل أبيب ويافا. (12)

ومن عجب أنك تجد مدحت وهبة اللاهي العابث يخالط المواطنين ويجالس اليهود والإنجليز؛ مما أحدث ثغرة في جدار المقاومة نفذ منها العدو.

إن مدحت وهبة رغم انشغاله بتجارة الحمضيات لا يعدم الوقت لمجالسة كبار القوم... الزعماء والقادة الوطنيين الموالين للحاج أمين الحسيني والمعارضين

8

له من جماعة النشاشيبي، كان يلتقي أولئك في مقهى (الحلواني) أول الليل أما في آخر الليل، فإنه كان يقضي سهرته مع اليهود وكبار ضباط الانجليز في بانسيون (روزا)، أو (بارعدن) في شارع هرتسل. (13)

إنها ازدواجية الولاء التي وشت بها ثنائية المكان الضدية، فأوقعت في دائرة المكاشفة شريحة نادرة من أبناء الشعب الفلسطيني الذين شكل لهم الثراء إغواء والمصالح مطامح ومطامع أودت بهم في دروب الهلاك.

(السينما) مكان آخر له دلالاته النفسية والسياسية والاجتماعية، ذلك المكان ارتاده فايق ضمن صولاته وجولاته العابثة، كان يدخل السينما وقد تأبط (سالي) المهاجرة اليهودية التي قدمت من مصر، بعد أن فر عنها الشملول الألتغ حين رأى عمه مدحت وعمه فايق في طريقها إلى الحفل بسينما الحمراء في يافا فاقتادهم فايق إلى داخل السينما ثم دفع مدحت ثمن تذكرتي فايق وسالي ثم تركهما متوجها إلى بار عدن ليلتقي صديقه الصحفي (ويلسون). (14)

إن تلك الأمكنة قد جسدت حالة شباب فتكت بهم الأهواء والغرائز فشغلتهم عن مقاومة المحتلين الصهاينة في الوقت الذي اندفع فيه شباب اليهود لتحقيق أطماعهم في أرض الميعاد يطرد أصحابها منها.

## د. عبد الخالق العف

ولكن تلك الحالة لم تدم طويلاً فسرعان ما استفاق مدحت وفايق من سكرتهما بعد سقوط حيفا، نزل على مدحت وهبة سهم الله؛ كف عن الشراب وعن ملاحقة (راشيل)...، أحس أنه سقط مع سقوط حيفا ويافا...، غادر البنسيون ذاهلاً لم يستأذن (أ : حسن) بالرغبة في احتضان ولديه وتوديع أهله لكي يلتحق بصفوف المجاهدين.(15)

ومن الأمكنة التي تناثرت في فضاء الرواية كالنجوم تضيء عتمتها وتشع بألوان الصمود والتشبث والقداسة: مسجد الاستقلال في حيفا، مسجد قرطبة، المسجد العمري بغزة، مكتب الحاج أمين الحسيني في الأقصى، الكتاتيب، الجامع الكبير، والمقبرة، هذه الأماكن إضافة إلى كونها مسرحاً للإعداد للمعارك الجهادية ضد الانجليز والصهاينة، فإنها أماكن أثرية قديمة ترمز إلى: تراث عريق وامتداد عميق

### 9

وارتباط وثيق يرسخ مشاعر الانتماء والأصالة ويؤكد حضورها في الذاكرة الوطنية وقد حظيت المدرسة التي أنشأها (حسين) بمكانة عالية في نفس القاص ترجمها مساحات مكانية في متن الرواية فتلك المدرسة مثلت بؤرة دلالية ومرتكزاً ضوئياً دارت حوله الأحداث، إنها رمز: الإرادة الصلبة والعزيمة المتوقدة، والهمة العالية للمعاق (توفيق) الذي تحدى إعاقته فأنشأ معلماً تربوياً حضارياً وطنياً يؤمه أبناء الوطن بل إنها أصبحت مقراً يجتمع فيه الثوار، كانت النتائج التي حصل عليها حسين رائعة، تجاوب أبناء الفلاحين مع المنهج الذي وضعه لهم، كان الأولاد يقرأون لأهلهم: الرسائل...، حجج استملاك الأراضي...، الجرائد، والسير الشعبية.(16) ثم امتد أثر تلك المدرسة؛ ليشرق قبسها على الثوار.

"قديلاً من أن يقنعه الثوار بإغلاق مدرسته، أفنعمهم هو بالالتحاق بصف محو الأمية في مدرسته مساء كل يوم، وكان (مدحت الوحيد) يعرض على الثوار عقد الاجتماعات في المدرسة كل ليلة دون أن يخشى دوريات الانجليز التي كانت تدهم البيارات والبيوت بحثاً عنه.(17)

### 10

#### \* نوع المكان في رابع المستحيل:

حظي المكان في الروايات التقليدية الواقعية: بمبالغة في الوصف، براعة في البناء ودقة في التشكيل واحتل صفحات طويلة في بنية الرواية، بينما يتجه الروائيون الجدد إلى إغراق المكان بالرمزية والأسطورة، ودفعه إلى: الوعي والمنطق وممارسة السلوك، أو التعرض له بإشارات خاطفة وسريعة، ولا شك أن المكان في الحالتين يلعب دوراً تعبيرياً بالغ الأهمية إذ إنه



## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

يعكس فلسفة القاص ورؤيته للواقع المحيط، أما المتلقي فلا يستطيع إخفاء جانب من المتعة الفنية النابعة من الشعور بالمكان والارتحال شعورياً إلى عوالم مختلفة. وليس من السهل أن يستغرق القاص في وصف المكان دون تكثيف أو تركيز مع التوسع في الدلالة مع إبقاء مساحة من التأويل القرائي للمتلقي، فالقاص يقول بعض ما يمكن قوله ثم يتترك أشياء كثيرة لخيال المتلقي.

### تنقسم الأمكنة في الرواية إلى ثلاثة أقسام:

- 1- المكان المغلق الذي يشمل الدار والمدينة والوطن.
  - 2- المكان المفتوح الذي يتمثل في الأماكن الواسعة التي تختفي فيها حرية الفرد بينما تظهر حرية الجماعة حتى فيما يمكن اعتباره مادياً مكاناً ضيقاً مغلقاً كالمقهى، ويتسم المكان المغلق بالألفة أما المكان المفتوح فيبدل على: الغربة، التنافس، والصراع.
  - 3- المكان اللامتناهي الممتد في فضاءات واسعة: كالسماء/ الصحراء، الغابات، والبحار وفيه يجنح القاص إلى الخيال في تبيان ملامحه وتحديد مدلولاته.
- وقد جنح (السبعراوي) في روايته "رابع المستحيل" إلى الحيز المفتوح المأهول غالباً، حيث تنتقل الشخصيات وترتحل من مكان إلى آخر، (فمشعل) ترك مكانه في (يافا) ليأتي إلى غزة، والقطار يقدم من مصر والمدافع تأتي من ألمانيا إلى (بتاح تكفا)، وباللات الصوف تنتقل إلى المجاهدين وفيها السلاح بتدبير من خليل "الطريق بالقطار إلى عكا طويل وممل لكن رقيقاً مثل (يوسف هيكل) أفضل ما يمكن (لمدحت وهبة) الركون إليه؛ لتبديد الملل و العناء الذي سببه طول الرحلة". (18)

## 11

وحوض الجماعية، قبة الشيخ جبار، الكروم، البساتين، المزارع، سكة الجماعية، البايكة، تلة البلخية، محجار الشعف، طاحونة البلد، البيارات، الساقية، سوق الجمعة، والمقهى كلها جمعاء أماكن مفتوحة "هذه المرة كمن الرجال خلف مراحيض العسكر بنباتات البوص التي تتشابكت خلف البيارات المجاورة للمحطة". (19)

وهناك دول ذكرت في الرواية مثل: مصر، بريطانيا، ألمانيا، تركيا، أمريكا، وكندا وأستراليا غير أنها على أطراف مسرح أحداث الرواية وكأن الكاتب أعطى للمؤامرة على فلسطين بعداً دولياً، ومن جانب آخر يرسخ أثر القضية على المستوى الدولي والإقليمي. ومن الأماكن والمدن والقرى التي وردت في الرواية: اللد، يزور، عكا، المجدل، بيسان، وغزة، "في بيسان وحدها أعطى الانجليز لليهود مائة وخمسة وستين ألف دونم، وفي

## د. عبد الخالق العف

أرض الحوارة طردوا القبيلة التي عاشت فيها آلاف السنين؛ بدعوى أن العائلة باعتهما للوكالة اليهودية". (20)

وإزداد المشهد تأثيراً حينما وظف الكاتب تلك الأمكنة المتسمة بالخصوبة والثراء والجمال كفرصة شبيهة تشبع مطامع اليهود والانجليز فينبهون خيراتها بعد طرد أصحابها منها والمكان في رواية "رابع المستحيل" ثابت في معظمه وذلك تأكيد على ثبات الحق لأصحابه وإن طرأت عليه ظروف عارضة وإن حاول الانجليز واليهود تغيير: معالم الأرض وتشريد أهلها وتغيير أسمائها، غير أن ذلك لا يطمس الحق، بل هو ثابت كالجبال الرواسي ثبات النخيل والزيتون، لتشكل فلسطين التاريخية فضاء روائياً يؤكد ثوابتنا وحقنا في: العودة والتحرير والمقاومة.

12

## ثانياً: الزمان:

### \* تمهيد

حقيقة إن دراسة عناصر فن الرواية بشكل منفصل لا يمكن أن يتم إلا على سبيل التحليل والدراسة، فهي عناصر متكاملة تدور في سلسلة منطقية، وكل عنصر فيها يكمل ويبرز الآخر، فعلى سبيل المثال لا الحصر، إن دراسة الشخصيات لا يمكن أن تتم بمعزل عن الزمان والمكان لتلك الشخصيات، وكذلك هذه العناصر لا بد لها من أحداث تجري فيها؛ مما يستدعي حبكة روائية ترتبط بزمان هذه العناصر؛ كي تصدر في النهاية رواية متكاملة حية تنبض بجميع عناصرها مكتملة.

مما لا شك فيه أن عنصر الزمن أحد أكثر عناصر الفن الروائي شهرة، وأجلها قدراً، وقد حفلت به الروايات الفلسطينية؛ ذلك أن الزمن في الرواية الفلسطينية له ارتباط وثيق بحياة الإنسان عامة، وبحياة الإنسان الفلسطيني خاصة، وكيف لا؟! ولذلك الزمن ارتباط بقضيتنا الفلسطينية، ذاك الزمن الذي يذكرنا بالماضي الجميل في زمن ما قبل النكبة، وفي الوقت ذاته، يذكر بالماضي الأليم المرير الذي يذكرنا بزمن النكبة يوم ضاعت فلسطين وأجبر أجدادنا على هجر مدنهم وقراهم في: عكا وحيفا ويافا...، فالزمن ملتصق بجميع لحظات حياتنا، فكل حركة من حياتنا وكل سكون لها ارتباط بالزمن، حيث لا معنى لها أبداً بدون الزمن.

ويجمع المحللون والنقاد على أن وعي الإنسان الفلسطيني المبكر لواقعه ولقضيته هو الذي أبرز عنصر الزمن في الأعمال الأدبية الفلسطينية. وقد سبق وعي الفلسطينيين بقية الوطن العربي

## الزمن والمكان في رواية "رابع المستحيل"

لواقع قضيتهم، ولقد تجسد ذلك الوعي العميق بأشكال متفاوتة فأوجد لنفسه مسارات متعددة مع مسيرة التجربة الفلسطينية. (21)

13

### \* الزمن في رواية رابع المستحيل:

شكل الزمن عنصراً بارزاً في رواية "رابع المستحيل"، فقد تنقلت بنا الرواية عبر أزمان مختلفة من عمر القضية الفلسطينية، ومن الجدير بالذكر أن عنصر الزمن له خصوصية وهيمنة في هذه القصة، بل يكاد يتربع على عرش السرد فيها مشيراً بغايته المكونة متمثلة في العنوان، وهو يسير في ثنائية غير متوازنة، يطغى فيها الماضي على المستقبل، ويتلون الحاضر بأصباح الماضي وأطيافه. للماضي فيها بعدان: أحدهما بعد النكبة، وثانيهما قبل النكبة ممتداً في الفردوس المفقود زهاء الألف عام. (22) وقد امتد الزمن في رابع المستحيل منذ فترة الانتداب البريطاني على فلسطيني وحتى وعد بلفور، ثم سار حتى نكبة 1948م التي تزامنت مع الهجرة الفلسطينية إلى غزة ومدنها ودول الجوار، تلك النكبة التي قضت على كل ما هو جميل بالنسبة للفلسطينيين.

لقد قلنا سابقاً: إن عنصر الزمن في الرواية الفلسطينية شكل محورياً أساسياً وعنصراً بارزاً من عناصر الفن الروائي، وهذا ما سنجده بوضوح في رواية رابع المستحيل، ذلك أن وعي الإنسان الفلسطيني بقضيته والتصاقه بها؛ جعله أكثر وعياً بعنصر الزمن من غيره، وهذا أمر طبيعي.

فقد تنقلت بنا الرواية عبر أزمان مختلفة من عمر القضية الفلسطينية من خلال زمن الاسترجاع، أو زمن الاستباق، أو زمن الحذف، أو الزمن التاريخي إلى غير ذلك من الأزمنة المختلفة.

وبمشيئة الله تعالى سأقوم في هذه الدراسة التطبيقية لعنصر الزمن في رواية "رابع المستحيل" بتناول تلك الأزمنة بشيء من التفصيل، من خلال الحديث عن كل زمن منها على حدة مدعماً بشواهد من الرواية، ثم بعد الانتهاء منها

14

سأقوم بعرض تفصيلي متسلسل لأزمنة الرواية بحسب ورودها في الرواية مع التعليق بالشرح ثم المناقشة لتلك الأزمنة.

## د. عبد الخالق العف

### \* الزمن الطبيعي:

إن الزمن الطبيعي لا بد من وجوده في كل رواية، وهذا ما نجده كذلك في رابع المستحيل، ومثال ذلك ورود زمن الفجر في الرواية فهو زمن طبيعي وقد ظهر في قوله: "...، عند أذان الفجر هزها من مرفقها؛ لكي تنهض فتتهيئ له إبريق وضوئه... (23)، وكذلك قوله: "في اليوم التالي اجتمع أبناؤه الثلاثة وبناته في غرفته. (24) وكذلك عندما تحدث القاص فقال: "كانت شمس تموز ترسل أشعتها اللافحة... هجعت الحارة وقت الظهيرة...، أوى الناس إلى بيوتهم؛ طلباً للقبولة"... (25).

### \* زمن الكتابة:

عبارة عن عدد الساعات التي قضاها عبد الكريم السبعاوي في كتابة رواية رابع المستحيل في غزة سنة 2005م، وكما نعلم هي خاتمة الرباعية (أرض كنعان)، أما الروايات الثلاث الأولى فكانت أسماؤها على الترتيب الزمني لصدورها: (العنقاء، الخل الوفي والغول). ونلاحظ أن القاص لم يحدد زمن الكتابة في روايته.

### \* زمن الاسترجاع:

لقد ورد زمن الاسترجاع (الارتداد) في رابع المستحيل كثيراً، وهذا أمر طبيعي وبخاصة أن هذه الرواية تحدثت عن زمان ثورة (القسام) ثم زمان النكبة ثم زمان الثورة و التحدي، ومثال ذلك من الرواية قوله: "لم يدر بخلده (خليل) أن الإنجليز سيقومون على مرمى حجر منه واحدة من أكبر محطات السكك الحديدية في فلسطين...، احتلت المحطة سهل الرنجس كله وكذلك قوله: "همس العشي في أذن رشيد الحاج: صاحبك الشيخ عز الدين أخذه الإنجليز إلى مركز الشرطة؛ للتحقيق معه...، ولعل المؤلف أراد أن يبين لنا من الارتداد إلى زمن الإنجليز مدى بشاعة الإنجليز وعدم احترامهم لقيم الإنسانية، كيف لا؟! وهم نذير الشؤم إلى فلسطين!.

وكذلك في قوله عن شخصية المجاهد خليل: "أحصى في ذاكرته ما يحمله لشيخه...، عشر بنادق...، مائة مشط فشك...، ثلاث مسدسات...، سبع قنابل يدوية...، هذا هو الصيد الوفير الذي عاد به من غزة... (27)، لقد هدف القاص من خلال استرجاع خليل لهذه الذكريات إلى أن زمن المقاومة سيظل هو الفيصل، بل هو اللغة التي لا يفهم عدونا سواها.

وكذلك ظهر زمن الاسترجاع في تذكر خليل لعهد ثورة (القسام) حيث قال السبعاوي: "شرد خليل بفكره إلى أيام الثورة وذكرياته مع القسام ورفاقه الأبطال...، لم يخرج من هواجسه إلا دخول ولده محمد الذي أصبح شاباً في غيابه... (28) يبدو أن خليل عندما تذكر ثورة القسام

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

وأبطال القسام أراد أن يقول لنا: لن تكون لنا عزة وكرامة إلا بالعودة إلى زمن الثورة الحقيقي، هذا الزمن الذي خلصت فيه النوايا لله أولاً ثم لأجل هذا الوطن ثانياً.

### \* زمن الاستباق:

كما ذكرنا هو بمعنى: الاستشراف أو الاستباق وهو الطرف الآخر في تقنية المفارقة السردية (الارتداد و الاستباق)، وهو يعني: تقديم الأحداث اللاحقة أو المستقبلية المتوقعة والمتحققة حتماً في امتداد بنية السرد الروائي.

وقد ظهر زمن الاستباق في رواية رابع المستحيل منذ البداية، بل من عنوان الرواية، فمنذ الوهلة الأولى طالعنا القاص بعنوان روايته "رابع المستحيل"؛ ليؤكد لنا أن نسيان الفلسطيني لقضيته ولأرضه (يافا، عكا، حيفا...) هو من رابع المستحيل، وكذلك أراد القاص أن يبين لنا أنه مهما طال الزمن ومهما

16

ازدادت غطرسة العدو الصهيوني، ومهما تمادى في وحشيته، فإن ذلك كله أجمع لن يخضع المارد الفلسطيني ولن يثبته عن مواصلة النضال والتحدي والصمود في وجه العاتي المستبد ألا وهو ذلك الكيان الصهيوني المزعوم، فرضوخ الشعب الفلسطيني لسياسية اليهود الضالة هو من رابع المستحيل.

كذلك ظهر زمن الاستباق في رد (مدحت وهبة) على (إياهو) قال السبعوي على لسان (إياهو): "جيوش الدول العربية السبعة غير قادرة على الصمود أما الجيش الذي نعهده...، سيكون عدد جنودنا ثلاثة أضعاف عدد الجيوش العربية مجتمعة... سنذهل العرب الأوغاد...، لعبت الخمرة برأس مدحت وهبة...، كما لعبت كلمات (إياهو) برأسه أكثر من الخمرة...، فقد السيطرة...، انتصب واقفاً ثم تقدم نحوهم وهو يترنح: ابتلموا...، أي هادا رابع المستحيل...، والله لو بنموت عن آخرنا ثم هز قبضته في وجوههم...،"(29) فهنا مدحت وهبة يستبق الأحداث قائلاً: لن نرضخ ليكم أيها اليهود الأوغاد، بل إن استسلامنا لكم رابع المستحيل، سندافع عن أرضنا ومقدساتنا وكرامتنا أو نموت بشرف.

### \* زمن التوقع:

هو عبارة عن توقع أشياء معينة قد تحدث في المستقبل، وقد بدا زمن التوقع في رابع المستحيل في قوله على لسان حسن عندما خاطب ابن عمته الديناري: "إذا بك تشتغل في يافا بنشغلك في نقل الزفزف...، شاور أخاك (مشعل) ثم استلم الشغل من بكره...، بدناش يتهمنا مشعل إنا خطفناك منو...، هز الديناري رأسه مغتبطاً بالخطوة التي نالها...، أكد لحسن زهد

35

## د. عبد الخالق العف

مشعل في خدماته.(30) في هذا الموقف نجد الديناري قد توقع زهد مشعل في خدماته بناء على معرفته المسبقة به، فهو أخوه وشقيقه ويعرفه حق المعرفة.

17

وكذلك ظهر زمن التوقع عندما قال ابن غوريون لخصائه: "إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد جاءت بوعد بلفور...، فإن الحرب العالمية الثانية ستأتي بالدولة اليهودية..."، فهنا قد توقع ابن غوريون إتيان الدولة اليهودية بعد الحرب العالمية الثانية، وفعلاً قد تم ذلك وكان بتقدير من الله تعالى.

وكذلك ظهر زمن التوقع في تعليق العبد هاشم: "هدنة وجيوشنا على أبواب تل أبيب...، المسألة بتحسم في يوم واحد...، عليّ الطلاق هادي مؤامرة...،" فهنا توقع العبد هاشم أنه في حالة المواجهة بين الجيوش العربية واليهود ستحسم الحرب في يوم واحد لصالح العرب.

### \* زمن الحذف:

وهو أن يقوم القاص بحذف مدة من الزمن دون الحديث عنها، ومثال ذلك في الرواية قوله عن زوج الشيخ حسين بعد عملية إجهاضها: "أصابها نزيف حاد...، جاهد الأطباء طويلاً حتى أبلت من سقامها...، غادرت المشفى إلى البيت...، مولانا لم يعد إلى فعلته التي كانت سبب بلانها...، تجنبها عامين آخرين...، كبرت الفتاة...، امتلأ عودها...،"(31) فهنا ذكر السبعائي أن خديجة بعد عملية إجهاضها مرضت مرضاً شديداً استعصى على الأطباء وأعيامهم؛ فابتعد عنها زوجها الشيخ حسين عامين كاملين حتى كبرت الفتاة واشتد عودها. نلاحظ أن القاص لم يذكر ما الذي حدث في العامين المنقضيين، وهذا ما يسمى بزمن الحذف.

وظهر كذلك زمن الحذف في قوله: "لم يطل انتظارها كثيراً (خديجة)...، بعد ستة أشهر على إجهاضها...، حملت مرة ثانية...،"(32) هنا ذكر السبعائي أنه بعد أن فقدت خديجة حملها الثاني مرت عليها ستة أشهر ثم حملت مرة ثانية، ولم يذكر لنا ما الذي حدث في تلك الأشهر الستة، ربما لعدم أهميتها كثيراً في مجريات القصة.

18

### \* زمن الوقفة:

وهو أن يلجأ القاص إلى وقف الزمن مدة معينة؛ كي يفسح المجال للوصف عند وصفه لحدث أو موقف أو منظر مؤثر. وإذا ما تأملنا رواية رابع المستحيل وجدنا زمن الوقفة موجوداً فيها، ولعلنا نجد ذلك في قول القاص: "كانت شمس تموز ترسل أشعتها اللافتة...، هجعت الحارة وقت الظهر...، أوى الناس إلى بيوتهم طلباً للقيلولة...، أحس أبو التوفيق جسده

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

يتصيب عرقاً...، هرش صدره وجنبه...، فاحت رائحة نتنة...، لم يستطع أبو التوفيق احتمالها...، انحاز إلى حوض الجماقية...، خلع ثوبه...، لفه حول حقويه ثم صار يغرف الماء بكلتا يديه ليمسح به جسده...، بنت الهدار التي أوغلت في العنوسة دون أن يدق بابها أحد...، أكملت ملء جرتها...، تلكأت في الانصراف...، راقبت أبو التوفيق بشغف...، هالها جسده الضخم المغطى بالشعر الأبيض...، تأملها أبو التوفيق كأنه يراها لأول مرة...،" (33) نلاحظ من خلال النص السابق أن القاص قد أوقف الزمن في روايته؛ كي يتمكن من تقديم وصف دقيق لما حدث بين أبي التوفيق ولولو بنت الهدار عندما رأت أبا التوفيق وهو يستحم بمياه الجماقية، ونلاحظ أن السبعواوي قد أطال الوصف للحدث، حيث استغرق فيه ثلاث صفحات من الرواية. وعادة ما يلجأ الروائيون إلى الوصف فمنهم من يطيل ومنهم من يقصر، ولعل مرد ذلك يرجع إلى عدة أمور منها: إبراز البراعة اللغوية عند القاص، ومنها تحقيق غاية ما يريدها القاص، مثل المبالغة في شيء معين، أو تسليط الضوء عليه.

19

### \* الزمن النفسي:

تعتمد الرواية النفسية على الأحداث الداخلية التي تقع في أعماق الشخصيات الروائية، فهو يبدو في الخبرات الإنسانية كما تحسه وتراه الشخصيات في ضوء الأحداث؛ فتعكس التحولات الزمنية على نفسياتها ومواقفها. ولو نظرنا إلى رواية (رابع المستحيل) لوجدنا فيها الزمن النفسي متناثراً بين ثناياها وأحداثها التي تتعكس حتماً على شخصيات العمل الروائي، ولعلنا نلاحظ الزمن النفسي في موقف أبي التوفيق من موت زوجته، حيث إنه لم يستطع تحمل الصدمة، قال السبعواوي في ذلك: "أبو التوفيق لم يستطع تحمل الصدمة...، موت أم التوفيق نزل عليه كالصاعقة...، لم تمرض...، مر بيده على وجهها...، رابه انقطاع أنفاسها...، لم تطل حيرته...، أدرك جلية الأمر...، انهيار عليها يحضنها وهو يجهد مثل طفل...،" (34) من الواضح أن موت أم التوفيق قد أثر في زوجها (أبي التوفيق)؛ بشكل كبير فتحطمت نفسيته، وأصبح يعاني معاناة شديدة جراء تلك المصيبة.

وفي موقف آخر قال السبعواوي: "لمحهما أبو التوفيق وهما يتهامسان...، داخلته الريبة...، تحسس حزام نقوده...، لم يجده...، طاش صوابه...، فأطلق صرخة نشفت الدم في عروقهم: انتو مش أولادي...! علي الطلاق بالثلاثة من راسي، إمكو بندقت فيكو واحد ورا الثاني...! بكت راضية وتسمر الباقرن كل في مكانه...! هتقت راضية: صلي عالنبي يابا...! أنا مش أبوكي...، إنتو مش من ظهري...، شوفوا من وين إمكو لقطتكو تلقيط...، تنهدت وهي تغالب

37

## د. عبد الخالق العف

دموعها: الله يرحمك يا امه ويحسن إليكي...، أرعد أبو التوفيق: الله لا يحسن إليها ولا يرحم لها فشة... (35) فهنا انضح أثر موت أم التوفيق على زوجها وعلى ابنتها، وهو بلا شك مختلف تماماً، وقد انضح ذلك من خلال الموقف السابق فنلاحظ أنه بمجرد أن غضب أبو التوفيق من أولاده؛ حتى أنقل كاهل زوجه الميتة باللعنات، مع قذفها بأبشع الاتهامات، بل بأبشع ما يمكن أن تتعرض له أنثى في حياتها، حيث اتهمها بالبندقة، ولكن البنت الحنونة (راضية) لم تهن عليها أمها المسكينة فلم تملك سوى أن تدعو لأمها بالرحمة، وقليلاً من الدموع المحبوسة في عينيها، فمن خلال الموقف السابق اتضحت لنا المفارقة الواضحة بين أثر موت أم التوفيق على زوجها وابنتها، وكيف انعكس ذلك الموقف (الحدث) على نفسيهما.

### \* زمن الحرب (النكبة) والهجرة المريرة:

شكل حرب عام 1948م أبشع كابوس تعرض له الشعب الفلسطيني، فقد أدت تلك الحرب إلى تفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذا الشعب الذي أصبح يعيش على ما تقدمه له وكالة غوث وتشغيل اللاجئين بعد مضي حوالي أربعة أعوام على تلك الحرب فقد تأسست هذه الوكالة سنة 1952م وقد كان لتأسيس الوكالة والخدمات التي قدمتها للاجئين آثار بعيدة، منها السلبى ومنا الإيجابي، فقد قدمت هذه الوكالة الخدمات التعليمية حيث أتاحت فرص التعليم لكل أطفال اللاجئين على حدٍ سواء، والخدمات الصحية، كما أتاحت للفلسطينيين فرص الحصول على عمل يناسب قدراتهم، ومع ذلك فقد كان لوجود هذه الوكالة آثار سلبية بعيدة المدى؛ فقد اعتاد اللاجئون الفلسطينيون على المساعدات، كما ساعد استمرار الوكالة في عملها على إطالة عمر النكبة.

قال السبعواوي في زمن الحرب: "تناول دينجت كأسه وعب منه جرعة كبيرة ثم نحاه جانباً: صدف قاومت بشدة إلا أن المقاومة انهارت فسقطت المدينة...، وهكذا أصبحت (حيفا) بكاملها تحت ضرباتنا ثم بدأ سكانها العرب في المغادرة..." (36) قال السبعواوي في موقف آخر حول سقوط (يافا) الجميلة أجمل مدن فلسطين: "اليهود ما زالوا يحشدون قوات جديدة...، الأوضاع ساءت داخل يافا؛ نتيجة نقص المؤن والإمدادات الطبية...، نحن محاصرون تماماً حتى من البحر...، تلفت رئيس البلدية حوله ثم باح لصديقه بالسر الأعظم: أنا أفكر جدياً في إعلان يافا مدينة مفتوحة حقناً لدماء من بقي من سكانها...، ضاق صدر مدحت لم يشأ سماع المزيد...،" (37) فهنا صور لنا القاص سقوط حيفا ويافا وهما من المدن الكبيرة في فلسطين، كما صور لنا المرارة التي أصابت سكان المدن من الفلسطينيين، حتى بلغت الذروة عند مدحت وهبة قائلاً متلفتاً إلى ثمار مدينة يافا الجميلة: "تههد بحرقه: (ترى لمن تكون ثمار هذا



## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

الموسم...،" (38) إن الوضع المأساوي الذي حل بمدن فلسطين أدى بالضرورة إلى تفكير من بقي منهم في يافا وحيفا وغيرهما من مدن فلسطين بالهجرة إلى غزة، قال القاص: "حين وصل (مدحت) بيت حسن رأى شاحنة صغيرة على الباب...، عمه حسن منهمك في نقل ما خف من الفراش والأغطية...، خرج فايق من البيت...، وضع بقجة ثياب في السيارة...، تنبه لوصول مدحت...، عانقه بحرارة: إجييت في وقتك...، مرتك ناصبة مناحة ما بترحل إلى غزة إلا رجلها على رجلك...، لم أغراضك وحطها بالشحن...، ما تكثر...، هات إشي يكفيك أسبوع أسبوعين بالكثير...، لغاية ما الجيوش العربية توصل يافا...، وكل حي يرجع لدارو" (39) بعد وصول الفلسطينيين المهاجرين إلى غزة على أمل عودتهم عما قريب إلى مدنهم الفلسطينية يافا وعكا معولين على الجيوش العربية، فأخذوا أغراضاً لهم تكفيهم مدة أسبوعين على الأكثر فلم يَدْرُ في خلداهم أن الجيوش العربية ستخذلهم ولن تحقق أمانهم، حتى رجح عند بعضهم أن الرجوع والعودة ليس بالإمكان، ولم يقف حد الهجرة عند غزة، بل إن طائرات العدو الصهيوني لاحقت شواطئ غزة حيث أصبحت هدفاً حربياً لطائرات العدو، وقال القاص في ذلك: "محطة غزة أصبحت هدفاً حربياً لطائرات العدو...، توالى قصف الطائرات اليهودية لمحطة القطارات في غزة...، اتسع القصف ليشمل البيوت، معسكرات الجيش المحيطة بالمحطة، قنبلة ضخمة سقطت على منزل خليل في كروم مقاط دمرته تماماً...، سكان المحطة هجروا بيوتهم؛ فهاموا على وجوههم...، رتب أبو سعادة هجرة أهل المحطة ومنهم مولانا إلى بني سهيلا جنوباً...، رفض حسن الهجرة...،" (40) مما سبق يتجلى لنا أن الهجرة لم تقف عند غزة بل إنها امتدت فتواصلت جنوباً نحو المعسكرات الوسطى، النصيرات، البريج، ودير البلح...، حتى وصلت إلى بني سهيلا جنوباً، ولعل الأمر وقف عند هذا الحد، بل إن الوحشية الصهيونية لاحقت فلول المهجرين من أبناء شعبنا الفلسطيني إلى بني سهيلا مما اضطرهم إلى الهجرة إلى خانينونس، ولم تسلم خانينونس أيضاً من نيران العدو الصهيوني فكانت الهجرة إلى شاطئ رفح، قال السبعاعي واصفاً تلك الهجرة القاسية والتي مازلنا نتجرع غصتها وألمها إلى يومنا هذا: "استقر مولانا بزوجه وأطفاله الثلاثة في قوز الشهلات ببني سهيلا. فكر أن يفتح بيته لأبناء الجوار كمدرسة مؤقتة ليشغل وقته بتعليمهم...، لكن الطائرات الإسرائيلية عاجلته بقصف تجمعات الجيش المصري في بني سهيلا. رتب أبو سعادة الهجرة الثانية لأهل الحارة إلى خانينونس...، قصفت خانينونس...، فرتب الرحلة الثالثة إلى شاطئ رفح" (41)، ولكن رفح أيضاً لم تسلم من الأعداء فسرعان ما امتد إليها القتل والقصف والدمار، فاحتار الناس أين يذهبون؟! وقد دكت المنازل وقصفت محطات القطار، ومات الناس، بل استشهدوا، ومنهم من تشرد مهاجراً من أرضه في يافا

## د. عبد الخالق العف

وعكا وحيفا وصفد وسلمة... ضاع الزمان الجميل، فتبدد الحلم العليل، فحل البؤس والشقاء، حتى أضحيا عنواناً لمدن فلسطين وأبنائها، فليس هناك ما هو أشد مرارة وأكثر مضاضة من أن يترك الإنسان: بيته ومنزله وأرضه وثماره وتجارته وعمله ويهاجر رغماً عنه فيهم على وجهه في ضياع أليم وألم عظيم، الأمر الذي انعكس على نفسيات الفلسطينيين؛ فدمعت عيونهم وتحسرت قلوبهم وترملت نساؤهم وتيتيم أطفالهم، وكيف لا تدمع العيون؟!

23

وكيف لا تتحسر القلوب؟! وقد ضاعت فلسطين، أولى القبلتين وضاع الأقصى ثالث الحرمين، مسرى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، أرض المحشر والمنشر، والله در أبو البقاء الرندي حين قال:

### لمثل هذا يذوب القلب من كـــــــد

إن كان في القلب إسلام وإيمان

#### \* زمن الثورة الفلسطينية:

حقيقة إن زمن الثورة الفلسطينية قد بدأ ضد حكومة الانتداب البريطاني قبل النكبة، ولا شك أن الذي أشعل فتيلها الشيخ القائد عز الدين القسام حينما أعلنها ثورة فلسطينية عارمة على حكومة الانتداب البريطاني (رأس الأفعى)، وعلى اليهود المعتدين المجرمين، فلقد أدرك ذلك الشيخ الجليل عز الدين القسام هو وعبد القادر الحسيني وغيرهما من شرفاء فلسطين أن فلسطين تضيع يوماً بعد يوم، وأن المؤامرات والدسائس تحاك لها من كل حدب وصوب، فأعلنها ثورة فلسطينية في وجه العدوان البريطاني والعدوان الصهيوني، فكانت ثورة القسام، التي التحق بها الأحرار من أبناء شعب فلسطين العظيم، فتبرعت النساء بحليهن، وتبرع المنفقون بكل ما يملكون وإن كانت قليلاً، فجمع الرصاص والبنادق، والتف المقاتلون حول شيخهم القسام، حتى إن من المتسولين من التحق بالثورة لخبرتهم الطويلة بسرقة الذخيرة من الإنجليز، فها نحن نرى خليل وهبة يحاول أن يخدم تلك الثورة ضد العدوان بكل وسيلة ممكنة؛ لذا إنه اقتحم مكان البيط (الصوص) الذين يسرقون مخازن الإنجليز من طعام وذخيرة، حيث وجد عندهم بغيته وضالته، وبحسن أسلوبه معهم، قرر اللصوص الالتحاق بالثورة ولا شك أن ذلك سيزيد الثورة قوة وبأساً؛ لأن أولئك (البيط) كانوا أكثر الناس خبرة بسرقة الذخيرة من الإنجليز، وعرض السبعاء في تلك الثورة في روايته قائلاً: "أنا (القسام) صاحب قضية عادلة...، الدول الكبرى يا مولانا (الحاج أمين) لا يهمها مبادئ الحق والعدل والحرية...، بل تهتمها مصالحها فقط" (42) في نهاية الحوار يقول الشيخ عز الدين القسام مخاطباً الحاج أمين الحسيني: "سأعتصم بجبل من جبال فلسطين...،

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

أعلن فيه الثورة...، سوف يلتحق بي الكثيرون ممن لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...، ولينصرون الله من ينصره" (43) وازداد الثورة قوة بعد انضمام رجال البيط بكليتهم إلى ثورة القسام، قال القاص: "لم يشعر خليل بكل هذه السعادة...، أحصى في ذاكرته ما حمله لشيخه...، عشر بنادق...، مائة مشط فشك...، ثلاث مسدسات سبع قنابل يدوية...، البيط انضم لثورة القسام بقضه وقضيضه...، صاروا يتبارون في تقديم ما يسلبونه من سلاح الإنجليز...، أو ما يسرقونه" (44) هذا ما كان قبل النكبة، أما بعد النكبة مر الكفاح الفلسطيني في منعطف خطير، فسقطت القيادات الإقطاعية والدينية التي قادت الكفاح المسلح في تلك المرحلة ثم تم تهجير الفلسطينيين رغماً عنهم إلى: غزة، بني سهيلا، خانينونس ثم إلى رفح، ولا شك أن زمن ما بعد النكبة كان بمثابة كابوس قاس على فلسطين، ولكن رغم: المرارة، الألم، الخوف، القتل، والتشريد الذي ألم بالفلسطينيين، إلا أنهم ظلوا صامدين في أرضهم، فهاهو الشيخ حسين في الرواية قرر بعد أن وصل إلى رفح أن يرحل إلى غزة عائداً فامتثل الجميع لأمره، ولعل في ذلك إشارة واضحة إلى أن زمن الثورة والمقاومة والصمود مستمر ومتواصل مهما قست الأيام علينا، حيث قال السبعراوي: "أطفاً أبو السعدي الراديو...، خيم الصمت...، نظروا إلى مولانا؛ لكي يسمعوا رأيه الثاقب...، كان قراراً حاسماً فاجأهم جميعاً: نرحل غداً بعد صلاة الفجر ليس إلى بر مصر...، ولكن إلى غزة نعيش أو نموت فيها...، طال وقف النار أم قصر...، انتصر العرب أم انهزموا" (45).

25

### \* زمن الأحداث بحسب ورودها المتسلسل في الرواية:

\* "عند أذان الفجر هزها من مرفقها؛ لكي تنهض فتتهيئ له إيريقي وضوءه كما تعودت أن تفعل كلي يوم...،" (46) نلاحظ أن ذلك الزمن قد رمز إلى الإيمان عند الفلسطينيين، فكلمتا الأذان والوضوء توحيان بالإيمان العميق في قلوب أبناء شعب فلسطين، هذا الإيمان الذي استمد منه الثوار قوتهم.

\* "مشعل الذي ترك دكانه في يافا في عهدة صبيه...، استعجل الحصول على الغنائم والأسلاب" (47) هذا الكلام عن يافا يذكرنا بالزمن الجميل عن مدينة يافا الجميلة، ذلك الزمن الذي لم يدم طويلاً، بل سرعان ما استبدل بأيام مرطوال.

\* "لم يدر بخلده (خليل) أن الإنجليز سيقبمون على مرمى حجر منه...، واحدة من أكبر محطات السكك الحديدية في فلسطين...، احتلت المحطة سهل الرنجس كله" (48) من خلال الحديث السابق

## د. عبد الخالق العف

نتذكر زمن بريطانيا ممثلة في حكومة الانتداب البريطاني التي كانت بمثابة نذير الشؤم على فلسطين الذي نبأ بضياح فلسطين.

\* ظهرت بلدة كبيرة...، توقف القطار عندها...، ظنها حسين محطة اللد...، انتابه القلق...، هل وصلنا اللد...؟ وبنك ووين اللد...، هادي بينا" (49) أيضاً ذلك الموقف يذكرنا بالزمن الجميل والأمكنة الأجل التي انسدل عنها الستار.

\* "على طول خط السكة الحديد كان يرى المستوطنين اليهود وهم يصعدون إلى القطارات...، كان خليل يرى بعينه أو يسمع من زبائنه حكايات تعيد إلى ذهنه ما حدث في وادي الزيت...، الفلاحون العرب يطردون من أراضيهم التي زرعوها آلاف السنين؛ لكي تسيح تلك الأرض وتحاط بأسلاك شائكة ثم ويمنحها المندوب السامي للمستوطنين اليهود بمختلف الأعذار والحجج" (50) هذا الحديث يذكرنا بزمن طرد الفلسطينيين من أرضهم، كما يذكرنا بأراض كثيرة منحت خيراتها لليهود الظالمين.

\* "همس العشي في أذن رشيد الحاج: صاحبك الشيخ عز الدين أخذه الإنجليز؛ للتحقيق معه...، وإيش التهمة هالمرّة؟، قال العشي: نفس التهمة...، التحريض على الثورة...، والتركيز في خطبه على الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)...،" (51) هذا القول يذكرنا ببشاعة الإنجليز، فهم يأخذون الثوار والشيوخ بحجة التحريض على الثورة، ونسوا، بل تناسوا أنهم هم الغاصبون الجائرون، يحققون مع رجل لقوله كلمة الحق مدوية!

\* "يا عباد الله الفتن قادمة كقطع الليل...، تغتصب بيوتكم وأراضيكم وتؤكل حقوقكم...! فأين أنتم من هذا الظلم الفادح والخطب الجلل...؟، كان خليل مازال تحت تأثير كلمات الشيخ عز الدين" (52) إنه زمن الثورة وتحريض الأحرار على الوقوف في وجه الأعداء والظلم والطغيان فيها نحن نرى الشيخ القائد عز الدين القسام يوجه شباب الثورة إلى الذود عن الوطن بكل غال وثمان، فمهما بلغت التضحيات ستكون رخيصة؛ لأجل الله ثم الوطن.

\* "لم يغلبيه النوم إلا بعد أن رأى نفسه في الإقطية يسوق الأسرى من عساكر الإنجليز كما تساق النعاج" (53) هذا زمن استتباع واستشراق للمستقبل الجميل وهو أن فجر الحرية لا بد آتٍ مهما طال الزمن.

\* لاحظ أنهم يدسون في الصندوق دراهمهم القليلة...، ليس عندي شيء من رباط الخيل...، عندي بندقية ألمانية عدت بها من الحرب وأحزرتها من حزر أمين" (54) هذا الزمن يدلنا على زمن الفقر وحالة البؤس الذي كان يعانيه شعبنا،

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

والنقص في أدوات المقاومة، ولكن رغم ذلك على الإنسان أن يبدأ بما يملك مهما كان قليلاً، فالقليل بجانب القليل يصبح كثيراً.

\* "الإمبراطورية القادمة في هذا العالم ستكون أمريكية وهم (اليهود) يطمعون أن تكون تلك الإمبراطورية لهم" (55) ذلك الحديث أوحى بأن أمريكا ستكون هي الإمبراطورية الجديدة بعد بريطانيا العظمى، وبالفعل كان ذلك.

\* "اطمأن حسين بالأثر ثم بدا في تنفيذ مشروعه الثالث الذي كان يحلم به طوال الوقت...، أن يبني مدرسة لتعليم أبناء الفلاحين" (56) زمن دخول التعليم من خلال مدرسة الشيخ حسين لأبناء الفلاحين، ولعل الشيخ حسين هذه الشخصية المدركة قد علم بما من الله عليه من علم وحكمة، أن التعليم هو ملاذنا الوحيد بعد التوكل على الله، وهو السبيل الأوضح للخلاص مما نحن فيه من احتلال وذل وهوان.

\* "لم يشعر خليل بكل هذه السعادة...، أحصى في ذاكرته ما يحمله لشيخه...، عشر بنادق...، مائة مشط فشك...، ثلاث مسدسات...، سبع قنابل يدوية" (57) زمن ثورة القسام وانضمام الثوار إليها، حتى اللصوص (اليطق) التحقوا بصفوف المقاومة والثورة.

\* "حين عاد خليل إلى غزة...، كانت صلاة الغائب عن أرواح الشيخ عز الدين ورفاقه تقام في كل مساجد المدينة...، استقبله ابن عمه الشيخ بلهفة وصبر نافذ...، وحين ودعه قال له: لقد حقق القسام باستشهاده ما لم يستطع تحقيقه في حياته...، هذه بداية ثورة حقيقية في فلسطين...، لن تنتهي إلا بنيل الشعب حريته واستقلاله واستعادة حقوقه المسلوبة" (58) زمن الثورة الحقيقي، فقد أشعل القسام في حياته فتيل ثورة فلسطين، ولكنه حين استشهد قد بدأ زمن الثورة الحقيقي، حيث توحدت فلسطين كل فلسطين باستشهاد الشيخ المجاهد عز الدين القسام، ونلاحظ في الحديث السابق زمن التوقع، حيث أكد الشيخ حسين أن ختام هذه الثورة سيكون التحرير والحريّة لهذا الشعب العظيم.

27

\* "بمرور الأيام ازدادت هجمات الثوار وأصبحت أكثر جرأة وأدق تخطيطاً؛ فأثخنّت الإنجليز حقاً...، انخرط الشعب كله أجمع في الثورة والتف حول قيادته مسترخياً كل التضحيات" (59) الفقرة السابقة من الرواية أكدت زمن الهجمات الفلسطينية من قبل الثوار التي نالت من عزيمة الإنجليز وأثقلت كاهلهم.

\* سمع (مدحت وهبة) إحدى نساء الحارة وهي تشرح الأمر لكنتها: (ثلاث عرايس وكل عروسة...، مخيطة تسع بدل...، وكل بدلة إليها شنطة واسكر بينه على لونها...، ضربت

## د. عبد الخالق العف

المرأة على صدورهما ثم تابعت: عرايس زي الملبن وغنجهم باليافاوي...، كان مولانا (الشيخ حسين) يعيش أسعد لحظات حياته"

إن زمن الحزن والأسى قد خيم على ربوع فلسطين فسكن الألم في قلوب الفلسطينيين، لكن رغم ذلك فإن زمن الفرح لا بد أن يكون له مكان؛ ليثبت للعالم بأسره أن زمن اليأس والغصة مهما طال فإن زمن الفرح الجميل من حق كل فلسطيني أن يشرب به ويحس به؛ ليؤكد بذلك عدوه.

\* "في الأسبوع التالي لوفاته كفت (خديجة) عن تناول الطعام إلا ما يطعمونه لها غصباً...، بدأ شعر رأسها يتساقط...، بعد عام من وفاة طفلها شعرت بالحمل...، ثم وضعت صبياً آخر...، لكن الصبي لم يعيش إلا يوماً واحداً...، أجهضت بعد ذلك مرتين...، أخيراً قدر لها أن تتم حملها...، ثم وضعت طفلة كالقمر ليلة تمامه...، كانت خديجة قد أتمت شهور حملها دون مشاكل هذه المرة...، اكتشفت أنه صبي...،" (60) إن الأحداث التي كتبت فيها هذه الكلمات لها دلالة زمنية واضحة، فهي تعني: أن زمن قضية فلسطين سيمر بمنعطفات مختلفة سيكون فيه: مد وجزر، موت وحياء، هزيمة وانتصار، ولكن الختام أن تكون الحياة لهذا الشعب

28

والانتصار، بمشيئة العزيز الجبار، ولقد رمز لذلك السبعوي من خلال موت أبناء الشيخ حسين في الرواية ثم ميلاد خديجة في نهاية المطاف صبيا سماه الشيخ حسين عبد الكريم.

\* "هدرت المصفحة عائدة بالمنتصر (مدحت الوحدي) ورفاقه وغير بعيد عن سياج المستوطنة الذي حطمته الحرائق تماماً...، دوى تحتها انفجار مروح. لغم أرضي كان اليهود قد دفنوه على تخوم مستوطناتهم...، شطر الحرائق إلى نصفين فقتل من كان فيها" (61) تحدثت الفقرة السابقة عن زمن يعتبر من أكثر الأزمنة حضوراً، ألا وهو زمن المقاومة والتضحية والاستشهاد، من زمن القائد مدحت الوحدي الذي حطمته (نحال عوز) فدمرها تماماً لكن القدر لم يمهل بل عاجلته المنية واستشهد على بعد أمتار من المستوطنة؛ بسبب لغم أرضي وضعه اليهود على تخوم المستوطنة.

\* "تلفت رئيس البلدية حوله ثم همس في اذن مدحت: الحالة لا تظمنن على الإطلاق. يبدو أن الجيوش العربية قررت سلفاً الوقوف عند حدود التقسيم" هذا زمن المؤامرة العربية الأمريكية الصهيونية ضد شعب فلسطين وأراضي فلسطين ومقدسات فلسطين.

\* "استشعر أهل فلسطين الهزيمة التي لاحت بوادرها لكل ذي عينين...، تدفقت سيول اللاجئين الذين سقطت مدنهم وقراهم بيد الصهاينة...، لم يكن أمامهم خيار آخر...، فالبقاء في تلك المدن والقرى يعني الموت على يد المحتلين. آلاف مؤلفة اكتظت بها حقول غزة وأحراشها وشواطئها

### الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

كما اكتظت بهم دول الجوار" (62) هذه الفقرة أوحى بزمن الهجرة أثناء نكبة عام 1948م الزمن الأكثر بشاعة والأشد حزناً في تاريخ فلسطين، حيث هاجر الفلسطينيون من أرضهم غير مختارين لتلك الهجرة.

\* "رجع خضير جار أبو سعادة ونسيه من عيادة الطبيب في خانونس بعد أن طاف بعيادات كثيرة دون أن يصله الدور...، طوابير المرضى في كل مكان...، تكس اللاجئين في غزة وقراهم أدى إلى تلوث مياه الشرب ونقص الأغذية والأدوية...، وانتشار الأمراض المعدية...، لم يستطع اللاجئون من أهل الحارة في (تل زعرب) إطعام حميرهم وإيوائها...، قالت (خديجة) لزوجها (الشيخ حسين) وهي تتاوله كسرة وحبّة زيتون: تبلغ بهذه حتى يحين موعد الوجبة القادمة" (63) أزمة متداخلة مرت على شعب فلسطين الذي عاش زمن الفقر والمرض والذل والمهانة، فتحطمت نفسه، ولكنه قدر الله تعالى لا بد أن ينفذ.

### \* الزمن الأخير.

"أطفاً أبو السعدي الراديو...، خيم الصمت...، نظروا إلى مولانا؛ لكي يسمعوا رأيه الثاقب...، كان قراراً حاسماً فاجأهم جميعاً: نرحل غداً بعد صلاة الفجر ليس إلى بر مصر...، ولكن إلى غزة نعيش أو نموت فيها...، كانوا قد بدأوا بالتجمع أمام خيمة الشيخ...، أبو السعدي حين رأى انتظامهم في المسيرة داخله الزهو بولده الذي كان عريفاً للكتاب فصار عريفاً للمسيرة...، لم يتخلف أحد...، ابتسم الشيخ...، اشترك أبو السعدي في الإنشاد...، امتدت العدوى إلى الآخرين...، أكملوا النشيد والبشر يغمر قلوبهم" (64)

لقد كان السبعوي موفقاً في هذه النهاية الروائية، حيث إنها نهاية سعيدة متوقعة، توحى بالزمن السعيد، وتدل على أن زمن الثورة والمقاومة مستمر، ولا بديل عن الصمود في هذه الأرض، فإما نصر وإما استشهاد، قال الله تعالى في كتابه العزيز: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

### \* زمن الإيقاع في الرواية:

حقيقة إن الإيقاع في رواية رابع المستحيل تراوح ما بين السرعة والبطء فمثلاً عند حديث القاص عن حمل (خديجة) في الرواية ثم عمليات إجهاضها نجد الإيقاع سريعاً بحيث لا يكاد القارئ يشعر به، وكذلك أتى الإيقاع الزمني سريعاً عند الحديث عن الأشياء اليومية المعتادة: كالطعام والعمل والزراعة والغلال وما شابه ذلك، بينما نجد أن الإيقاع الزمني يطول في انعكاس الأحداث التاريخية التي حلت بفلسطين على شخصيات العمل الروائي، حيث إن القارئ يشعر ببطء الزمن، حتى ليشعر القارئ من شدة بطئه وكأنه واقف، وهذا أمر طبيعي؛ ذلك أن القاص

## د. عبد الخالق العف

أراد أن يبرز أثر تلك الأحداث المؤلمة والمحطات القاسية في زمن القضية الفلسطينية على الشخصيات؛ ليشعر القارئ بمرارة الوضع الذي نعيشه؛ فيحرك ذلك كله أحاسيس القارئ؛ ليلهب مشاعره، ويثير حفيظته؛ فيتحول ثورة عارمة لا تعرف التراجع، ثورة لأجل الدفاع عن هذه الأرض المقدسة.

وكذلك نجد الإيقاع الزمني يطول عندما عرض القاص الحوار الطويل الذي تجاذب أطرافه الشيخ عز الدين القسام الذي استشهد عام 1935م وأشعل فتيل ثورة 1936م باستشهاده والحاج أمين الحسيني، حيث إن القاص أراد القول: إن الإنجليز واليهود وجهان لعملة واحدة، كل منهم يريد تدمير فلسطين واحتلالها؛ لخدمة مصالحهم.

### \* خاتمة:

وهكذا نجد أن القاص عبد الكريم السبعوي قد نجح في روايته " رابع المستحيل " في توظيف أهم تقنيات السرد القصصي زماناً ومكاناً في إبراز: المعاني والدلالات ، والإيحاءات والرموز ، وقد تنوعت تشكيلاته المكانية؛ كي ترسخ في الذاكرة الوطنية والعربية والإسلامية قداسة كل شبر من فلسطين المحتلة مع وجوب العمل على تحريرها ، كما توالت تشكيلاته الزمنية؛ كي تؤكد على حيوية وتواصل المشهد الفلسطيني المقاوم .

29

### الهوامش:

\* ولد عبد الكريم حسين السبعوي عام 1942 في مدينة غزة، وفيها تلقى تعليمه ثم عمل مدرسا ثم محررا بجريدة أخبار فلسطين وفيها نشر بواكير أعماله. بدأت رحلة المنفى والشتات عام 1967 حيث تنقل بين مجموعة من الدول العربية حتى استقر في استراليا عام 1981. عاد إلى فلسطين بعد قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية ولكن الظروف الأمنية والسياسية كانت تحول دون بقاءه الدائم في غزة. من مؤلفاته: روايات: الغول، العنقاء، الخل الوفي، البحث عن الترياق، رابع المستحيل، طائر البرق، الدواوين الشعرية: نوديت باسمي، متى ترك القطا، زهرة الحبر سوداء، وديرة عشق.

(1) عبد الكريم السبعوي: الخل الوفي (غزة، دار النورس، 1997)، ص7

(2) انظر سيزا قاسم: بناء الرواية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)، ص76

(3) انظر محمود أمين العالم: الرواية بين زمنيها وزمنها "مقاربة مبدئية عامة" مجلة فصول

(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 1993)، ص13



#### الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

- (4) انظر زكي العيلة: المرأة في الرواية الفلسطينية (رام الله، 2003)، ص 223
- (5) شفيح السيد: اتجاهات الرواية المصرية (مصر، دار المعارف، 1978)، ص 24
- (6) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 227
- (7) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 301
- (8) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 210
- (9) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 87
- (10) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 268
- (11) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 232
- (12) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 39
- (13) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 157
- (14) انظر عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 226
- (15) انظر عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 28، 29
- (16) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 117
- (17) انظر عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 167
- (18) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 188
- (19) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 122
- (20) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 195
- (21) علي عودة: الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية ط2 (فلسطين، 1997)، ص 16
- (22) نبيل أبو علي: تقانات السرد القصصي في زمن الغياب ص 219
- (23) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 7
- (24) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 9
- (25) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 11
- (26) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 17
- (27) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 145
- (28) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 273
- (29) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 224
- (30) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 39
- (31) عبد الكريم السباعوي: رابع المستحيل، ص 139

د. عبد الخالق العف

- (32) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 141
- (33) عبد الكريم السبعاعي ص 11، 12، 13
- (34) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 7
- (35) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 11
- (36) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 278
- (37) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 283
- (38) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 283
- (39) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 279
- (40) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 291
- (41) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 292
- (42) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 83
- (43) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 89
- (44) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 145
- (45) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 304
- (46) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 7
- (47) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 9
- (48) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 17
- (49) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 30
- (50) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 44
- (51) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 45
- (52) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 50
- (53) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 52
- (54) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 66
- (55) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 162
- (56) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 115
- (57) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 145
- (58) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 153
- (59) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص 170

## الزمان والمكان في رواية "رابع المستحيل"

- (60) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص202...، 218 (مقتطفات)
- (61) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص270
- (62) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص290 و 291
- (63) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص296...، 302 (مقتطفات)
- (64) عبد الكريم السبعاعي: رابع المستحيل، ص304 و 305

### مراجع البحث:

- 1— زكي العيلة: المرأة في الرواية الفلسطينية (رام الله، 2003)
- 2— سيزا قاسم: بناء الرواية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984)
- 3— شفيق السيد: اتجاهات الرواية المصرية (مصر، دار المعارف، 1978)
- 4— عبد الكريم السبعاعي: الخل الوفي (غزة، دار النورس، 1997): رابع المستحيل، (غزة، 2005)
- 5— علي عودة: الزمان والمكان في الرواية الفلسطينية، ط2، (فلسطين، 1997)
- 6— محمود أمين العالم: الرواية بين زمنيها وزمنها "مقاربة مبدئية عامة" مجلة فصول (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ربيع 1993).
- 7— نبيل خالد أبو علي: تقانات السرد القصصي في زمن الغياب (غزة، 2004).